الإشكالية في الحديث "إن الله خلق آدم على صورته": أسبابها وحلولها

أنجريني بنت رملي
الطالبة دكتورة، قسم القرآن والسنة بكلية معارف الوحي وعلوم الإنسانية، الجامعة العالمية الإسلامية بماليزيا
Jl. Gombak, Gombak, 53100, Selangor, Malaysia
Email: angrainiramli@gmail.com

Abstract

Hadith Innallāha khalaqa Adam 'alā ṣūratih, is one of hadith that has isykāl (difficulties) or problems involving debates among scholars. Firstly, There are some scholars who argued that the problems in this hadith is because the pronunciation of 'alā ṣūratih in this hadith is contrary to the Islamic faith. Secondly, Others argued that this hadith has a similarity with isrā'iliyāt because in the Torah and the Gospel also found similar things in the creation of Adam. Thirdly, some scholars accept this hadith textually but interpreted it to another meaning in order fit with holiness of Allah. The fourth,opinion argue that damiror pronoun of words on 'alā ṣūratih refer to Allah, either as interpretation the word of rahman or as an iḍāfah taṣrīfiyah and ikhtiṣāṣiyah to Allah. The fifth, opinion argue that this damir refer to Adam. The sixth, opinion said that this damir returned to the owner face who was beaten as mentioned in the hadith is refer to the object which was hit, namely the face itself.

Keywords: *Isykāliyah of Hadith, Isrā'iliyat, Interpretation, Ḍamīr*

Abstrak

Hadis Innallāha khalaqa Adam 'alā ṣūratih adalah salah satu hadis yang memiliki isykāl atau permasalahan yang melibatkan perdebatan di antara para ulama. Ada sebagian ulama yang berpendapat bahwa permasalahan dalam hadis ini disebabkan karena lafal 'alā ṣūratih dalam hadis ini bertentangan dengan akidah Islam. Sebagian yang lain berpendapat pula bahwa hadis ini memiliki kesamaan dengan isra'iliyāt karena di dalam Taurat dan Injil juga terdapat hal senada pada bagian penciptaan Adam. Ada sebagian ulama lain yang menerima hadis ini secara tekstual namun mentakwilnya ke makna lain hingga sesuai dengan kemahasucian Allah Swt. Pendapat yang terakhir adalah mereka yang berpendapat bahwa ḍamīr pada kata 'alā ṣūratih itu kembali kepada Allah, baik sebagai takwil dari kata Rahman atau merupakan iḍāfah taṣrīfiyah dan ikhtiṣāṣiyah kepada Allah. Ada pula yang berpendapat bahwa ḍamīr ini kembali kepada Adam As. Pendapat lainnya mengatakan ḍamīr ini kembali kepada si fulan pemilik wajah yang dipukul sebagaimana tersebut dalam hadis, sehingga pendapat terakhir yang mengatakan bahwa ḍamīr ini kembali kepada objek yang dipukul, yaitu wajah itu sendiri.

Kata Kunci: *Isykaliyah Hadis, Isrā'iliyat, Takwil, Ḍamīr*

التمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى اله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين. وبعد، قد شاع بين أيدينا أحاديث فيها إشكاليات يشكل بها الناس فى فهمهم ويزعج بها عقائدهم. ومن أحاديث فيها الإشكاليات، حديث خلق الله آدم على صورته. ففي هذه المقالة ستذكر الباحثة ألفاظ الحديث المختلفة عنها، ثم تأتي بمعانيها. وبعد ذلك، ذكر إشكاليات وأسبابها

مع محاولة الحلول من هذه الإشكاليات كما يلي بعد، إن شاء الله تعالى.

لفظ الحديث

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى. ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنِ الْمُثَنَّى بْنِ سَعِيْدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوْبَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ. وَفِي حَدِيْثِ ابْنِ حَاتِمٍ عَنِ النَّبِيِّﷺ قَالَ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَجْتَنِبِ ٱلْوَجْهَ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُوْرَتِهِ».[1]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّه، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُوْ هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُوْلِ اللهِﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيْثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «خَلَقَ اللهُﷻ آدَمَ عَلَى صُوْرَتِهِ، طُوْلُهُ سِتُّوْنَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا قَالَ خَلَقَه قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُوْلَئِكَ النَّفَرِ- وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ جُلُوْسٌ- فَاسْتَمِعْ مَا يُجِيبُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَتِكَ». قَالَ: «فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله». قَالَ: «فَزَادُوْهُ: وَرَحْمَةُ الله». قَالَ: «فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ عَلَى صُوْرَةِ آدَمَ، وَطُوْلُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ ٱلْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الآنَ».[2]

معنى العام للحديث

الحديث الأول أخرجه مسلم في باب النهي عن ضرب الوجه في كتاب البرّ والصلة والآداب. والحديث يحكي عن سبب هذا النهي لأنّ الله تعالى خلق آدم من صورته، فمن نوع الإحترام هو الاجتناب عن ضرب الوجه. والحديث الثاني أخرجه البخاري والمسلم في صحيحهما ويحكي عن وقعة في الجنة حينما بدأ الله بخلق آدم. ثم أمر بالسلام على من حوله من الملائكة. ذكر في الحديث إن الله خلق آدم على صورته.

قال العلماء أن هذا الحديث من الأحاديث المختلف الذي فيه الإشكال الذي يحتاج إلى العلاج. وهذا المختلف إما في السند أو في المتن. ففي السند، كان سندهما ثابتان أنهما صحيحان حيث أخرجهما البخاري والمسلم في صحيحيهما. فلا إشكال في السند.

[1]أخرجه مسلم في صحيحه: 115/32 رقم 2612. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، *صحيح مسلم*، ط 1 (المملكة العربية السعودية: دار المغني، 1998م)، ص 115.

[2]أخرجه البخاري في صحيحه: 5/11 رقم 5873، انظر أبا عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، ج11، ط1 (القاهرة: دار ابن الجوزي، 1432هـ/2011م)، ص 5. ومسلم في صحيحه: 28/11 رقم 2841. النيسابوري، *صحيح*، ص 28.

ومن جهة المتن، فاختلف العلماء في معنى الحديث «إن الله خلق آدم في صورته».

وقال ابن هريرة في اللفظ "في كون آدم ستين ذراعا"، أنه متفرق بما في كوننا الحاضر "أما آدم عليه السلام، وكونه ستين ذراعاً، فإن هذا لا يدل على نحو خلق أحدنا اليوم، وذلك أكثر أنهمة ورواء وشارة، ويجوز أن يكون قد كانت له خيل يركبها تناسب خلقه."[3] ثم استمرّ بالتوضيح الفرق بين حجم آدم عليه السلام وحجم الناس في عصرنا على أنه زاد أن ينقص بمرور الزمان، ثم زاد في قوله "وقوله «فلم يزل الخلق ينقص»، يعدّ دليلاً على أنه ينقص من خلق الراكب والمركوب. والذي أراه في ذلك أنه لما كانت أعمار الأوائل طوالاً لم يكن يقتضي طول بلوغ الأشد منه، لأن مده يناسب ذلك الطول، وأن ابتداء الخلق من الآدمي إلى أن يبلغ أشده، فإنه يكون ما يخلف عليه في مدته أكبر ما يتخلل دائماً إلى القوة والزيادة، فإذا حسبت هذا على مقتضى ما يستحق العمر الذي هو الآن من الستين إلى السبعين، أو العمر الذي هو ستمائة أو سبعمائة وألف كان قريباً مما ذكر أن طوله كان ستين ذراعاً."[4] وذكر أبو هريرة أنّ هناك الحكمة في هذا النقص هو "وأما الحكمة في نقص الخلق، فإنه تخفيف على المؤمن ومحق للكافر، وليكن عدد هذه الأمة أكبر من عدد ما مضى قبلها من الأمم، لأنهم لما قصرت أعمارهم تضاعف عددهم."[5]

أسباب المشكلة في الحديث والحلول عليها

فكان المشْكِل موجودٌ عندما يحاول أن يفهم لفظ الحديث «إن الله خلق آدم على صورته». فلمن يقبل معنى الظاهر للحديث، فليس عندهم أي مشكل، حيث يقبل أن لله عز وجل له صورة ولكن يختلف بصورة المخلوق ولا يقبل السؤال من حيث الكيْف كما يقبل الآيات القرآنية المتكلمة عن يد الله فوق أيديهم. ولكن لمنْ لم يقبل معنى الظاهر، فهويحاول أن يعمل التأويل لمعنى الحديث. قال الإمام النووي في شرح الحديث "هو من أحاديث الصفات، وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول نؤمن بأنها حقّ وأن ظاهرها غير مراد ولها معنى يليق بها، وهذا مذهب

[3] ابن هبيرة، *الإفصاح عن معاني الصحاح*، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ج 7 (الرياض: دار الوطن، د:ط، د:ت)، ص 215.

[4] ابن هبيرة، *الإفصاح*، ص 216.

[5] ابن هبيرة، *الإفصاح*، ص 216.

جمهور السلف وهو أهوط وأسلم."[6] هم قالوا أن معنى الظاهر للحديث مخالف للآية القرآنية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[سورة الشورى: 11]، ولابد أن يؤوّله إلى معنى غير الظاهري.وأيضا، هناك من قال أن الحديث موافق مما جاء في عهد الجديد "فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه" [التكوين: 27/1] فيزعم أن هذا الحديث جاء من اللإسرائيليات ولم يقبله.

فمن هنا كانت الإشكاليات الموجودة في الحديث التي ممْكن أن نحلّها بطرق التي سلكها العلماء كما يلي.

1. القول بمرجع الضمير "هُ" في الكلمة «عَلَى صُوْرَتِهِ»

ينقسم القول بمرجع الضمير "هُ" في كلمة «عَلَى صُوْرَتِهِ» إلى أقسام. فقسم الأول: قال أن مرجع الضمير إلى الله ﷻ، فيكون المعنى «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن» وهذا القول مما تأوّله من قول الحديث إلى ما يليق بتنزيه الله ﷻ وأنه ليس كمثله شيء. فهناك قول المازري الذي نَقَلَهُ الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم أن "هذا الحديث بهذا اللفظ ثابت، ورواه بعضهم «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»،"[7] وقد ذكر ابن قتيبة هذا الرأي في كتابه ثم ردّ عليه بأن الله ﷻ لا يماثله شيئ من خلقه، "وهذا لا يجوز لأن الله ﷻ لا يخلق شيئا من خلقه على مثال."[8]

ثم جاء بالردّ على قول ابن قتيبة من جهة اللسان، وأن القرآن قد جاء بهذا النوع من الكلام "فقال بعضهم: ما يحسن مثل هذا في الكلام، لأن اللفظ الظاهر إذا افتتح به، وأعيد ذكره فإنما يعاد بالضمير، ولهذا يقال: زيد ضرب عبده، ولا يقال: ضرب زيد عبد زيد، ومرادهم بزيد الثاني زيد الأول، قالوا: فلو كان ما قالوه صحيحا لكانت العبارة عنه: «خلق آدم عن صورته» كما وقع في الطرق الثابتة. وقال بعض أصحابنا: لا يستبعد هذا في اللسان، وقد قال ﷻ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [سورة مريم: 85]، ولم يقل [يوم] يحشر المتقين إلينا. وقال بعض النحاة: من هذا أيضا قوله تعالى ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا ﴾

[6]أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي، *شرح صحيح مسلم*، تحقيق: عماد زكي البارودي، ج 15 (القاهرة: دار التوفيقية للتراث، د:ط، د:ت)، ص 126.

[7]االدمشقي، شرح، ج 15، ص 126.

[8]أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، *تأويل مختلف الحديث*، تحقيق: محمد محي الدين الأصفر، ط 2 (بيروت: المكتب الإسلامي، 1419 هـ/1999 م)، ص 318.

[سورة البقرة: 59]."[9] وثم جاء الردّ على هذا الوجه فإن الله ﷻ يستحيل أن يكون له مثيل وشبيه، كما قال الأصفر عند تحقيقه لكتاب ابن قتيبة "وحينئذ يكون أمامنا المانع اليقيني القاطع الذي لا يرتاب فيه مؤمن قط، وهو أن الله تعالى يستحيل أن يكون له شبيه أو مثيل لقوله تعالى﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11]"[10]

جاء محمد محي الدين الأصفربالتحقيق على ما قاله ابن قتيبة في شرح الحديث بقوله: "أخطأ ابن قتيبة في هذا المقال وسع بهما باب المحذور، ولم يحسن جواباً بل أضعف الجواب الصحيح وهاك البيان، أولا: الموضع الأول في خطأ ابن قتيبة أنه أورد أصل الحديث ناقصاً في اللفظ، حيث لفظه الذي أورده هو: «إن الله ﷻ خلق آدم على صورته»، والحديث له بقية توجه معناه يقيناً وكان يجب على ابن قتيبة ذكرها، حتى لولم يذكرها المعارضون كان من واجبه ردّها إلى الحديث والتأكيد عليها، وقد فعل العكي فقال ما يوحى بعدم ثبوتها حيث أصل الحديث ما ذكره وزاد قوم كذا كذا. وأقل ما يقال في ذلك أنه تقصير بليغ منه وهذا مع إحسان الظن به، لأن أصل الحديث كما هو في الصحيحين من جميع الروايات مذكور سبب هذا القول. وقد رواه مسلم من سبع طرق كلها تذكر ذلك: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليتق الوجه، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته»، وكذلك رواية البخاري بنفس اللفظ، والملابسة قاضية بعود الضمير على المضروب أو المقاتل قطعا. وسبب القطع أن الله تعالى يقول ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[سورة الشورى: 11]، فلا يجزم حول التشبيه ذو علم مؤمن قط. إما أن يكون لقلة علم أو لنقص يقين، فالذي أستشار إلى توهينه هو حق وهو صحيح وأيضا كان أصل الحديث في الصحيحين واقتصر عليه البخاري، ولم يروِ: «إن الله خلق آدم على صورته»، فهي لمسلم وحده في بعض ألفاظه."[11]

وأما في الرواية التي ذكرها المازري زعموا أنه مروي عند ابن عمر عن النبي ﷺ، «إن الله ﷻ خلق آدم على صورة الرحمن»، يريدون أن تكون الهاء في «صورته» لله ﷻ، هذا التأويل الخطأ والقبيح عند ابن قتيبة، قال"وأن ذلك يتبين بأن يجعلوا الرحمن مكان الهاء كما تقول: «إن الرحمن خلق آدم على صورته»، فركبوا

[9]أبو فضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، *إكمال المعلم بفوائد مسلم*، تحقيق: الدكتور يحي إسماعيل، ج 8، ط 1 (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1419 هـ/1998 م)، ص 90.

[10]ابن قتيبة، *تأويل*، ص 321.

[11]ابن قتيبة، *تأويل*، ص 321.

قبيحا من الخطأ. وذلك أنه لا يجوز أن نقول: «إن الله تعالى خلق السماء بمشيئة الرحمن»، ولا على إرادة الرحمن. وإنما يجوز هذا، إذا كان الإسم الثاني غير الاسم الأوّل، أو لو كانت الرواية: «لا تقبحوا الوجه، فإنه خلق على صورة الرحمن»، فكان الرحمن غير الله، والله غير الرحمن. فإن صحت رواية عمر عن النبي ﷺ بذلك، فهو كما قال رسول الله ﷺ، فلا تأويل، ولا تنازع فيه."[12]

وهناك قول آخر في مرجع الضمير إلى الله ﷻ، ويكون هذا القول وجهان، أحدهما: أراد بها الصفة وثانيهما: أراد بها إضافة الصورة إضافةً تشريفيةً. فالوجه الأول في المراد بالصورة هو الصفة "كما يقال: صورة فلان عند السلطان كذا، بمعنى صفته كذا. ولما كان آدم عليه السلام امتاز بصفات من الكمال تميز بالعقل والنطق عن البهائم، والنبوة على سائر بنيه سوى النبيين منهم، وله فضائل اختصّ بها، فكأنه شبهه من هذه الجهة باختصاص الله سبحانه بالرفعة والجلال، لا سيما وقد أمر الملائكة بالسجود له طاعة لله ﷻ. هذا المعنى ذكره بعض أصحابنا في التشبيه بعد."[13]

وفي الوجه الثاني، أن المراد بإضافة الصورة إلى الله تعالى هي إضافة تشريفية واختصاصية "كما قيل في الكعبة: بيت الله، وكانت البيوت كلها له ﷻ وكما قال تعالى ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ [سورة الشمس: 13]، على غير ذلك مما وقع في الشريعة من أمثال هذا. وقد تميز آدم عليه السلام بأن خلقه الله ﷻ بيده، ولم يقلبه في الأصلاب، ولا درجه من حال إلى حال، فتكون الإضافة إضافة اختصاص لهذا المعنى ولغيره."[14]

وقسم الثاني من قال بمرجع الضمير "هُ" في «على صورته» إلى آدم عليه السلام فيكون معنى الحديث (إن الله خلق آدم على صورة آدم). قال محي الدين"ويكون المعنى الضروري لو كان الحديث هكذا أنها الهاء الملكية، يعني خلق آدم على الصورة التي شاء الله تعالى وأرادها له."[15] وذكر ابن قتيبة في هذا الرأي و"(أراد أن الله تعالى خلق آدم في الجنة على صورته في الأرض). كأنّ قوما قالوا: إن آدم كان من طوله في الجنة كذا، ومن حليته كذا، ومن نوره كذا، ومن طيب رائحته كذا، لمخالفة

[12] ابن قتيبة، *تأويل*، ص 321.

[13] اليحصبي، *إكمال* ، ج 8، ص 89.

[14] اليحصبي، *إكمال* ، ج 8، ص 89.

[15] ابن قتيبة، *تأويل*، ص 321.

ما يكون في الجنة، ما يكون في الدنيا."[16] وقال أن هذا التأويل أقرب من افطراد والإستكراه.

وردّ على هذا القول ابن قتيبة بأنّ لو كان كذلك فلم يكن لهذه الكلمة فائدة من حيث لا أحد من يشك أن الله ﷻ خلق الإنسان على صورته، والمخلوقات أخرى على صورها. وذلك كما قال ابن قتيبة في كتابه "فقال القوم من أصحاب الكلام: أراد خلق آدم على صورة آدم، لم يزد على ذلك، ولو كان المراد هذا، ما كان في الكلام فائدة. ومن يشك في أن الله ﷻ خلق الإنسان على صورته، والسباع على صورها، والأنعام على صورها؟"[17] وأيّده المحقق بقوله "فالقول الذي صرح بخطئه أن يكون المعنى خلق آدم على صورة آدم يعنى عود الضمير على نفس آدم، وهذا فعلا لا تتضح فائدته."[18]

ونقض أصحاب هذا الرأي قول ابن قتيبة بشرح الفائدة في هذا القول أن هذا التأويل يكون كقول: "خلق زيد على صورة نفسه، والشجرة على صورتها نفسها. وأجاب صاحب هذا القول بأن الفائدة فيه: التنبيه على خالف الحق من أصحاب المذاهب كالطبائعين القائلين بأن تصوير آدم كان عن بعض تأثيرات النجوم أو العناصر أو غير ذلك بما يهزؤون به، فأكذبهم النبي ﷺ. واحتراز الله ﷻخلق آدم على صورته، أو أكذب الدهرية في قولهم: ليس ثم إنسان (أوّل، وإنما إنسان من نطفة ونطفة من إنسان) هكذا أبدا إلى غير أول، فأخبر النبي ﷺ أن الله سبحانه اخترع صورة آدم ولم يكن مصوّراً عن أب ولا كائناً عن تناسل، أو يكون أكذب القدرية في قولهم: إن كثيراً من أعراض آدم وصفاته خلق لآدم، وأخبر النبي ﷺ أنه مخلوق بجملة صورته."[19]

وتؤيد على هذا الوجه، القول بأن لفظ «إن الله خلق آدم على صورته» هو السبب في النهي على ضرب الوجه، كما قال أبو فضل في كتابه "ومن إعادة الضمير إلى آدم بنفسه إنما يحسن إذا روي لفظ النبي ﷺ مجرداً من السبب، مقتصراً منه على قوله: «إن الله خلق آدم على صورته»، وأما ذكر السبب، أو ذكر الجميع: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته» فإنه لا يحسن صرف الضمير لآدم، لأنه ينفى أن يكون بين السبب أو صدر الكلام وآخره ارتباط وتميز الكلام، وما وقع في كتاب مسلم في معنى المسافر، وقد ذكر أنه روي مختصراً فيه على ما

[16]ابن قتيبة، *تأويل*، ص 321.

[17]ابن قتيبة، *تأويل*، ص 318.

[18]ابن قتيبة، *تأويل*، ص 321.

[19]اليحصبي، *إكمال*، ج 8، ص 89.

قلناه. وقال بعض أئمتنا. هو من اختصار بعض الرواة."[20]

وأما قسم الثالث، من قال أن مرجع الضمير "هُ" في الكلمة «على صورته» إلى الأخ صاحب الوجه المضروب المذكور في الحديث. قال أبو فضل "قال القاضي: قد جاء في هذا الحديث نفسه ما أغنى عما ذكر في بعض الأحاديث، بأن مسلما قد ذكر في هذا: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته». فالهاء هاهنا عائدا على الأخ المنهى أن يضرب وجهه ويستقيم الكلام، وتظهر فائدة الحديث ويزول الإشكال."[21] وقال محي الدين "ولكن تتمة الحديث تقتضي أن الهاء عائدة على الأخ ومعناها أوضح ما في الأول."[22]

وجاء تأييدًا لهذا الرأي المحقق لكتاب مختلف الحديث لابن قتيبة "أما أن يقول رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته»، فلا يستقيم في لغة العرب أن يعود الضمير إلا على المضروب لأنه الرابط بين الجملتين، وإلا كان الكلام غير مفيد، فإنك إذا قلت: رأيت زيدا مع أبيه يمشيان وزيد يشبهه، لم يبق أحد عنده قط من الفهم إلا علم أنك تعني أن الضمير من يشبهه يعود على أبي زيد لأنه الرابط بين الجملتين، وإلا كان الكلام من الهذيان الذي لا يفيد معنى صحيحاً. ولو قال قائل: إن هذا الضمير في يشبهه يعود على زيد، قيل: ابتغوا له الطبّ فإنه مجنون. أما إذا شطر الحديث وقطعت منه الجملة الأولى واقتصر فقط على هذا اللفظ: «إن الله خلق آدم على صورته»، فأقرب الوجوه في لغة العرب هو عودة الضمير على الله تعالى."[23]

فبهذا الرأي، سيكون الإشكال في هذا الحديث حيث ذكر فيه سبب النهي عن ضرب الوجه محذوفًا، ولكن في الحديث للبخاري الذي لم يذكر فيه هذا السبب مازال الإشكال موجودًا.ونرى قول أبو فضل عن هذا "وإنما يبقى الإشكال كله في الحديث الآخر الذي لم يذكر فيه هذا السبب مثل حديث البخاري في باب السلام: «إن الله لما خلق آدم على صورته قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة»، وخرجه مسلم أيضا بعد هذا بنصه في باب خلق آدم، لكن قد تقدم فيه من التأويلات ما يكفي بعضها."[24]

[20] اليحصبي، *إكمال*، ج 8، ص 89.

[21] اليحصبي، *إكمال*، ج 8، ص 90.

[22] ابن قتيبة، *تأويل*، ص 321.

[23] ابن قتيبة، *تأويل*، ص 321.

[24] اليحصبي، *إكمال*، ج 8، ص 91.

ثم لفظ الحديث الذي بعده «طوله ستون ذراعا» يبين الإشكال ويؤيد أنّ الضمير راجع إلى آدم عليه السلام، "ويكون معناه: على الصورة التي كان بها في الأرض وأنه لم يكن في الجنة على صورة أخرى، ولا اختلفت صفاته وتصوراته اختلاف تصورات الملائكة في أصول صورهم. وفي الصور التي يتراءون فيها (غالبا) للخلق."[25] فالمعنى يكون واضحا وغير متشابه.

وفي قسم الرابع: قالوا أن الضمير راجع إلى الوجه المضروب، "وقال قوم في الحديث: «لا تقبحوا الوجه، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته». يريد الله عز وجل خلق آدم على صورة الوجه."[26] ثم ردّ بعده ابن قتيبة بقول أنها لا فائدة في هذا التأويل حيث قال بأن "الناس يعلمون أن الله تبارك وتعالى خلق آدم، على خلق ولده، ووجهه على وجوههم."[27] ثم جاء صاحب هذا الرأي بالزيادة في الحديث "إنه عليه السلام مرّ برجل يضرب وجه رجل آخر، فقال: «لا تضربه، فإن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورته»، أي صورة المضروب. وفي هذا القول من الخلل، ما في الأول."[28]

2. كون الحديث موافق بما جاء في التوراة والإنجيل

قد جاء في الإنجيل في سفر التكوين أنه خلق آدم على صورته، "فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه" [التكوين: 27/1]. واستدلّ أيضا ابن قتيبة بما جاء من التوراة والحديث عن ابن عباس موافق بهذا بقوله "ولست أحتم بهذا التأويل على هذا الحديث، ولا أقضي بأنه مراد رسول الله ﷺ فيه، لأني قرأت في التوراة: (أن الله عز وجل، لما خلق السماء والأرض قال: نخلق بشراً بصورتنا، فخلق آدم من أدمة الأرض، ونفخ في وجهه نسمة الحياة)، وهذا لا يصلح له ذلك التأويل.وكذلك حديث ابن عباس «أن موسى عليه السلام، ضرب الحجر لبن إسرائيل فتفجر، وقال: اشربوا يا حمير»، فأوحى الله، تبارك وتعالى إليه: «عمدت إلى خلق من خلقي، خلقتهم على صورتي، فشبهتهم بالحمير»، فما برح حتى عوقبز هذا معنى الحديث."[29]

ولكن ردّ المحقق كتابه محمد محي الدين على استدلال ابن قتيبة بالتوراة بالقول أن استشهاد بالتورة لإثبات الشبهة باطل"وما اشتشهد به من التوراة لإثبات الشبهة باطل، لأن ما في التوراة أوهن من أن يستشهد به في

[25] اليحصبي، *إكمال*، ج 8، ص 374.

[26] ابن قتيبة، *تأويل*، ص 319.

[27] ابن قتيبة، *تأويل*، ص 319.

[28] ابن قتيبة، *تأويل* ، ص 321.

[29] ابن قتيبة، *تأويل* ، ص 322.

حكم تكليفي بله أصول العقيدة، وقد تعمد اليهود تحريف العقيدة أكثر ما حرّفوا وإلا فيستشهد بمصارعة آدم لربّه وأنه غلب الرب، تعالى الله على كفرهم علوّا كبيراً، وغيره من الشيطنة التي كتبوها عن الله تعالى ورسله. ولاّشكّ أن هذه زلة من ابن قتيبة، وقد اتّهم الجاحظ أنه عند محاورة أهل الكتاب ذكر شبههم مستوفاه واستدل لها كالمنبه لهم إليها وقصر في الرد عليهم، فكان كلامه يوحى بتثبيت شبههم أكثر من أن يكون ردّا عليهم، وهو غفر الله لع فعل ذلك هنا، عفا الله عنا وعنه، والله تعالى أعلم وأحكم."[30]

وقد جاء رأي العلماء في المعاملة بالإسرائيليات، إذا جاء موافقا مما في شريعتنا فلا حرج في أخذه، وإذا عارضتها شريعتنا فنتركه وأخذه حرام، وإذا سكتت عنها الشريعة فلا حرج في حكايته،[31] فالقرآن جاء بقصة خلق آدم ولم يفصّل فيه، فمن الممكن أن يكون هذا الحديث مفصلا عما جاء في القرآن.

فبعد طويل الكلام في التأويل، رجّح ابن قتيبة القول بعدم تأويله إلى أي شيء بل نؤمن كما جاء بلا سؤال بكيفيته"قال أبو محمد: والذي عندي- والله تعالى أعلم –أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الإلف لتلك، لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه، لأنها لم تأتِ في القرآن. ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حدّ."[32] وقد ردّ هذا القول المازري بأن ابن قتيبة قد غلط في إجراء الحديث على ظاهره فلله صورة لا كالصور "فهذا الذي قاله ظاهر الفساد لأن الصورة تفيد التركيب وكل مركب محدث والله تعالى ليس بمحدث فليس هو مركّباً فليس مصوّرًا."[33] فذهبت الباحثة بما ذهب إليه جمهور السلف،[34] بأن مرادها غير معنى ظاهر الحديث ولها معنى يليق بها. وهذا الرأي أحوط وأسلم عند جمهور.

الخاتمة

قد تم البحث في إشكالية الحديث «إن الله خلق آدم على صورته» مع ذكر أسبابها ومحاولة حلولها مع نتيجة البحث كما يلي.

كانت الإشكالية في الحديث أسبابها مخالفته بالقرآن الكريم والعقيدة الإسلامية في

[30]ابن قتيبة، *تأويل* ، ص 321.

[31]محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، ج 1، ط 7 (القاهرة: مكتبة وهبة، 2000 م)، ص 125.

[32]ابن قتيبة، *تأويل*، ص 322.

[33]الدمشقي، شرح، ج 15، ص 126.

[34]االدمشقي، شرح، ج 15، ص 126.

تجسيم الله –سبحانه ونزهه عن ذلك– وموافقته بالإسرائيليات.

ينقسم العلماء إلى قسمين في فهم الحديث. أولها من يقبل ظاهر الحديث والإجراء على معناه الظاهري. وثانيهما من يتأول الحديث إلى ما يليق بتنزيه الله سبحانه وتعالى.

تقسيم العلماء في عمل التأويل للحديث: منهم من قال مرجع الضمير في «على صورته» إلى الله إما تأويلا من الرحمن وأما إضافة تشريفية واختصاصية. منهم من قال مرجع الضمير في «على صورته» إلى آدم ﷺ. منهم من قال مرجع الضمير في «على صورته» إلى الأخ صاحب الوجه المضروب المذكور في الحديث.منهم من قال مرجع الضمير في «على صورته» إلى المضروب وهو الوجه.

وفي المعاملة بالإسرائيليات، إذا جاء موافقا مما في شريعتنا فلا حرج في أخذه، وإذا عارضتها شريعتنا فنتركه وأخذه حرام، وإذا سكتت عنها الشريعة فلا حرج في حكايته، فالقرآن جاء بقصة خلق آدم ولم يفصّل فيه، فمن الممكن أن يكون هذا الحديث مفصلا عما جاء في القرآن. والله أعلم بالصواب.

المصادر والمراجع

القـــرآن الكـــريم

ابن هبيرة. *الإفصاح عن معاني الصحاح*. الرياض: دار الوطن، د:ط، د:ت.

ابن قتيبة. أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. *تأويل مختلف الحديث*. ط 2. بيروت: المكتب الإسلامي، 1419 هـ/1999 م.

أبو فضل، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي. *إكمال المعلم بفوائد مسلم*. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1419هـ/1998 م.

البخاري، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل. *صحيح البخاري*. ط 1. القاهرة: دار ابن الجوزي، 1432 هـ/2011 م.

الدمشقي، أبي زكريا يحي بن شرف النووي. *شرح صحيح مسلم*. القاهرة: دار التوفيقية للتراث، د: ط، د:ت.

الذهبي، محمد حسين. *التفسير والمفسرون*. ط 7. القاهرة: مكتبة وهبة، 2000 م.

الكتاب المقدس عربي/إنجليزي. ط 5 .البريطانيا: المجتمع العالمي للكتاب المقدس، 2006 م.

المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن. *تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف*. ط 2. بيروت: المكتبة الإسلامي، 1403 هـ/1983 م.

النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. *صحيح مسلم*. ط 1. المملكة العربية السعودية: دار المغني، 1998م.